السنن الإلهية وسؤال الحضارة والقيم

الباحث رشيد الحسني
أستاذ مادة التربية الإسلامية السلك الثانوي تأهيلي
طالب باحث في سلك الدكتوراه، تخصص الدراسات الإسلامية
المغرب

ملخص البحث

إن السنن الإلهية باعتبارها تلك القوانين الحاكمة لمجريات حياة الناس والتي تمضي بثبات واطراد تمنح الانسان فرصة ثمينة لاستشراف المستقبل بناء على ما يقتضيه انضباطها في الماضي والحاضر.

ولعل من أهم المجالات التي يستثمر فيها العلم بالسنن الالهية ذلك الذي يعنى بعوامل نهضة الحضارات وأسباب سقوطها، فالحضارات –كما يشير إلى ذلك ابن خلدون ومالك بن نبي وغيرهما – منذ القدم تولد وتزدهر ثم تنهار وفق نظام محكم لا يتخلف.

إن رقي الحضارات يرتبط بعدة أمور منها القيم، فالناظر لتاريخ الحضارات المتفحص لحالها يوقن أن القيم والمبادئ لا تنفك عن الحضارات، فكلما زاد تمثل الشعوب لقيم العدل والرحمة والشورى والتعاون ...تحقق الرقي المادي والمعنوي للأمم، وكلما غابت هاته القيم واستبدلت بالظلم والطغيان والاستبداد والانانية ... كلما كانت الامم عرضة للانهيار والزوال كما أشار إلى ذلك ابن خلدون في قولته المشهورة "الظلم مؤذن بخراب الديار".

ومن هذا المنطلق تأتي هاته المساهمة العلمية للوقوف على أهمية الوعي بالسنن الإلهية واستثمارها في بناء الحضارات وكذلك رصد الترابط بين القيم والمبادئ من جهة وثبات الحضارات من جهة أخرى.

الإشكالية: كيف يمكننا استثمار العلم بالسنن الإلهية في بناء الحضارات بالاستناد على القيم؟

أهداف البحث: ويمكن إجمالها في ثلاث عوارض أساسية وهي:

1) الوقوف على أهمية الوعي والاستثمار الجيد للسنن الكونية في بناء الحضارات والامم.

2) رصد مظاهر الترابط بين بناء الحضارات ومنظومة القيم.

3) تسخير العلم بالسنن الالهية في تطوير نظريات التعلم والتربية على القيم.

منهج البحث: وتحقيقا لأهداف هذا البحث سأجمع بين المنهج الوصفي القائم على الاستقراء الجزئي للمصادر والمراجع، وبين المنهج التحليلي الذي سأحاول من خلاله تفكيك وتفسير ما تم جمعه وتركيبه بما يوصل الى خلاصات من شأنها تقديم اجوبة للإشكالات المرتبطة بالموضوع.

وستأتي عناصر هاته الورقة منتظمة في ثلاثة محاور على الشكل التالي:

المحور الأول: مفهوم السنن الإلهية، والحضارة، والقيم.

المحور الثاني: السنن الإلهية في الحضارات عموما والإسلامية خصوصا وارتباطها بالقيم.

المحور الثالث: التربية على القيم وسؤال الوعي بالسنن الكونية كمدخل لبناء الحضارات.

❖ **المحور الأول: مفهوم السنن الإلهية والحضارة والقيم.**

تقتضي الضرورة المنهجية والإجرائية قبل البداية في أي بحث أن نتناول مفاهيمه الأساسية بالتعريف العلمي، حتى نحدد المقصود والمراد منها بشكل واضح لا يقع معه اللبس أو الخلط.

أ- مفهوم السنن الإلهية.

لا نجد في كتب المتقدمين من تحدث عن السنن الإلهية، إلا ما كان من بعض المفسرين واللغوين حين أسندوا كلمة (سنة) إلى الله، فنجد سنة الله.

كما هو الحال عند ابن منظور " سنة الله: أحكامه، وأمره، ونهيه، .. وسن الله سنة: أي بين طريقا قويما ... والسنة: السيرة، حسنة كانت أو قبيحة"[1]

ويعرفها السمين الحلبي بقوله: " والسنن جمع سنة، وهي الطريقة التي يكون عليها ويلازمها، ومنه سنة الأنبياء عليهم السلام"[2]

ومن خلال التعريفين يظهر أن السنة إذا أسندت إلى الله تعالى فهي تعني أمر الله ونهيه وطريقته التي تدبير الكون وتسير مخلوقاته. وإذا ذكر لفظ السنة دون إسناد إلى الله فتعني إما أمر به النبي صلى الله عليه وسلم، أو تعني الطريقة والسيرة.

أما المعاصرين فقد تعددت محاولاتهم لتعريف السنن الإلهية.

فنجد عبد الكريم زيدان يعرفها بقوله " هي الطريقة المتبعة في معاملة الله –تعالى– للبشر بناء على سلوكهم وأفعالهم وموقفهم من شرع الله وأنبيائه، وما يترتب على ذلك من نتائج في الدنيا والأخرة"[3]

فيما يعرفها عمر عبيد حسنة ويقول بأن: "السنن بمعنى القوانين المطردة والثابتة، التي تحكم حركة الحياة والأحياء، وتحكم حركة التاريخ، وتتحكم بالدورات الحضارية، بما يمكن أن نسميه سنن التداول الحضاري... والتي تعتبر معرفتها شرطا أساسيا للتبصر بالعواقب، وتؤهل معرفتها إلى تسخيرها والتمكن من الإنجاز والإبداع الحضاري"[4]

ويقول القرضاوي: " إن السنن الإلهية هي: القوانين التي أقام الله عليها نظام الكون ونظام المجتمع، وهي سنن وقوانين لها صفة العموم والشمول ... كما أن لها صفة الثبات والدوام"[5]

وعند النظر إلى تعاريف المتقدمين والمعاصرين لسنن الإلهية نجد بينها تقاربا يكاد يصل درجة التطابق فمعظمهم يؤكد على أن السنن الإلهية هي تلك النواميس والقوانين التي يجري الحق وفقها مجريات الكون في مختلف مجالاته والتي تتسم بالثبات والانضباط.

ب- مفهوم الحضارة.

يقول ابن منظور في تعريفه للحضارة " والحضر: خلاف البدو. والحاضر: خلاف الْبادي. الحاضر: المقيم في المدن والقرى، والبادي: المقيم بالبادية"6

ويعرفها ابن خلدون قائلا: " والحضارة إنما هي تفنن في الترف وإحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والمباني والفرش والأبنية وسائر عوائد المنزل وأحواله فلكل واحد منها صنائع في استجادته والتأنق فيه تختص به ويتلو بعضها بعضا وتتكثر باختلاف ما تنزع إليه النفوس من الشهوات والملاذ والتنعم بأحوال الترف وما تتلون به من العوائد"[7]

إن الحضارة في شقها اللغوي تأتي مناقضة للبداوة، وهي عند ابن خلدون تعني الرقي المادي والتطور الذي يحققه الإنسان في مختلف أحوال حياته فينعكس عليه ترفا وراحة، وبهذا المعنى فإنها عند المتقدمين تركز على الجانب المادي فقط على خلاف المتأخرين الذين يؤكدون على أن الحضارة رقي يحققه الإنسان في مختلف المجالات، وهي أيضا مرحلة ما بعد البداوة.

يقول جميل صليبا " " وللحضارة عند المحدثين معنيان أحدهما موضوعي والاخر ذاتي أما المعنى الموضوعي فهو إطلاق لفظ الحضارة على جملة من مظاهر التقدم الأدبي والفني والعلمي والتقني التي تنتقل من جيل إلى جيل في مجتمع واحد او عدة مجتمعات .. وأما الحضارة بالمعنى الذاتي المجرد فتطلق على مرحلة سياسية من مراحل التطور الإنساني المقابلة لمرحلة الهمجية والتوحش "[8]

ومن خلال هذا التعريف ومن سار على نسقه فإن الحضارة مزيج بين ما هو مادي يتمثل في كل ما يحقق رفاهية وراحة الإنسان، وما هو معنوي كالقيم والخلاق والجماليات وغيرها. ويؤكد معظم الباحثين في الحضارات إن الجانب المعنوي للحضارة هو ما يمنحها عناصر البقاء ويشكل خصائصها التي تميزها عن غيرها من الحضارات.

والحضارة الإسلامية تميزت عن غيرها بتغليب الشق المعنوي الروحي على الشق المادي فهي قد ""وصلت الإنسان بالله وربطت الروح بالمادة ووازنت بين العقل والقلب وجمعت بين العلم والإيمان وحرصت على السمو الأخلاقي حرصها على الرقي المادي"[9]

وعليه يمكن القول أن الحضارات مزيج بين ما هو مادي وما هو حضاري، وأن الشق المعنوي لكل حضارة هو ما يميزها عن غيرها من الحضارات لكون الشق المادي منها يظل مشتركا بينها رغم ما يمكن تسجيله من تفوت في الرقي والازدهار.

ت– مفهوم القيم.

القيم في اللغة "جمع القيمة وأصلها الواو والقاف والميم، والقيمة ثمن الشيء بالتقويم. يقول: كم قامت ناقتي أي كم بلغت. وقد قامة الأمة مائة دينار أي بلغت قيمتها مائة دينا"[10]

وبالنظر إلى مفهوم القيمة في شقها اللغوي يظهر أن معانيها تدور في دلالات متقاربة ومتكاملة، فهي ثمن الشيء أ ما يساويه في القيمة، وهي أيضا تلك الأحكام المؤطرة بمبادئ ومعايير يرتضيها الشرع وتحدد الصواب من الخطاء، وفيما ذكره ابن خلدون إشارة إلى أن هاته القيم تستمد من الشرع.

أما محمد عبد الفتاح الخطيب فقد ذهب في تعريفه للقيم إلى كونها: " مفهوم جامع لكثير من المعاني والدلالات التي تسوغ اطلاقها على كل ما من شأنه أن يمثل معيارا أو ميزانا يتحرك من خلاله الإنسان، ويتصرف وعيا وسعيا بوحي من إشارته وتوجيهاته بحيث تكون هذه الحركة في استقامة وثبات وبه يكون لهذه الحركة قدرها وفاعليتها"[11]

ومما سبق يمكن القول بأن القيم هي كل المعايير والموازين والضوابط التي توجه السلوك الإنساني عموما إلى الفعل الحسن المنسجم مع الفطرة وهي – أي المعاير والموازين– عامة وكلية وثابتة لا تتغير، تتعارف الإنسانية على قيمتها وأقرها الإسلام بمجيئه.

❖ **المحور الثاني: السنن الإلهية في الحضارات عموما والإسلامية خصوصا وارتباطها بالقيم.**

يكاد يجمع المهتمون بدراسة الحضارات على أنها شبيهة بالإنسان من حيث الميلاد والازدهار ثم الأفول، وهاته الدورة تتكرر في جميع الحضارات مما جعلها نتيجة حتمية لمجموعة من القوانين والنواميس التي صارت بمثابة سنن إلهية، ومن أهم هاته السنن العوامل التي تسهم في ميلاد الحضارات عموما وأسهمت في ميلاد الحضارة الإسلامية على وجه الخصوص نذكر ما يلي.

1- الدين:

يعتبر الدين من أهم الظواهر التي ارتبطت بالإنسان منذ القدم، وهو الأساس الذي قامت عليه كل الحضارات كما يشير إلى ذلك عدد من الذين اهتموا بدراسة الحضارات. ولعل المؤرخ عبد الرحمان ابن خلدون هو أول من أبرز دور الفكرة الدينية في تحقيق الاجتماع والحضارة، حيث نجده أفرد فصلا في كتابه المقدمة بعنوان " العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية وأثر عظيم من الدين على الجملة" والسبب في ذلك أنهم بخلق التوحش الذي فيهم أصعب الأمم انقيادا بعضهم لبعض للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة في الرياسة فقلما تجمعهم أهواؤهم فإذا كان الدين أو النبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم، فسهل انقيادهم واجتماعهم وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة.."12

1- توفر العوامل الجغرافية والطبيعية:

فهاته العوامل في نظر ابن خلدون تعد سببا رئيسيا لنشأة الحضارة في كل الأزمان، وهذا ما أشار إليه بقوله: " قد بينا أن المعمور من هذا المنكشف من الأرض إنما هو وسطه لإفراط الحر في الجنوب والبرد في الشمال، ولما كان الجانبان من الشمال والجنوب متضادين في الحر والبرد، وجب أن تتدرج الكيفية من كليهما إلى الوسط، فيكون معتدلا ... فلهذا كانت العلوم والصنائع والمباني والملابس والأقوات والفواكه، بل والحيوانات وجميع ما يتكون في هذه الأقاليم الثلاثة المتوسطة مخصوصة بالاعتدال، وسكانها من البشر أعدل أجساما وألوانا وأخلاقا وأديانا، حتى النبوءات فإنما توجد في الأكثر فيها، ولم نقف على خبر بعثة في الأقاليم الجنوبية ولا الشمالية"13

يؤكد ابن خلدون على أن أغلب الحضارات تولد في مناطق ذات طبيعة جغرافية ومناخية معتدلة تسهل على الإنسان سبل الحياة، وعند التأمل في كلام ابن خلدون نجد أن معظم الحضارات ينطبق عليها هذا الأمر بما في ذلك الحضارة الإسلامية التي كان مهدها الجزيرة العربية، وهذه المنطقة كانت بهاته الصفات حتى وإن غلب عليها الطابع الصحراوي لكن يشفع لها أنها كانت مجاورة لأرض الشام التي كانت محل أطماع لكل الحضارات السابقة للإسلام وأخرها حضارة الروم والفرس.

2- الانتقال من البدو إلى الحضارة:

يعتبر ابن خلدون البداوة أصل التحضر ويكاد يجزم بأنه سنة راتبة لا تختل، إذ أن التحضر لا يأتي إلا عقب البداوة لما تشكله هاته الأخيرة من أساس ولما توفره من مقومات لبناء الحضارة، فالبداوة في نظر ابن خلدون تسعف في أمور لا تطيقها المدينة: يقول: " لأنه (أي البدو) متسع لما لا يتسع له الحواضر من المزارع والفدن والمسارح للحيوان وغير ذلك فكان اختصاص هؤلاء البدو أمرا ضروريا لهم وكان حينئذ اجتماعهم وتعاونهم في حاجاتهم ومعاشهم وعمرانهم من القوت والكن والدفيء إنما هو بالمقدار الذي يحفظ الحياة ويحصل بلغة العيش من غير مزيد عليه .. ثم إذا اتسعت أحوال هؤلاء المنتحلين للمعاش وحصل لهم ما فوق الحاجة من الغنى والرفه ودعاهم ذلك إلى الدعة والسكون وتعاونوا في الزائد على الضرورة واستكثروا من الأقوات والملابس والتأنق فيها وتوسعة البيوت واختطاط المدن والأمصار للتحضر"14

ومرحلة البداوة في نظر ابن خلدون أمر ضروري في بناء الحضارة وبلوغها، فهي التي تمدها بعناصر التشكل، والحقيقة أن الأمر عند التأمل بديهي فالتدرج في بناء الأشياء مهما كانت بسيطة تنطلق ثم تنموا لتصل إلى تمامها.

3- السياسة والحضارة:

يحتاج اجتماع الناس بالضرورة قانونا يؤطرهم ووازعا يحكهم يرجعون إليه في حال اختلافهم ونزاعهم، وهذا إما يتحقق برجوعهم إلى شريعة سماوية من الله فيحكمونها بينهم، أو إلى حاكم يرونه أعرف بمصالحهم فيملكونه من السلطة ما يستطيع به أن يسوسهم ويفصل فيما بينهم بناء على ما يقدره إما بالاستناد على مرجعية دينية أو عقلية. وهذه السياسة تكون على وجهين: " أحدهما: يراعي فيها المصالح على العموم ومصالح السلطان في استقامة ملكه على الخصوص، والثاني: أن يراعى فيها مصلحة السلطان وكيف يستقيم له الملك مع القهر والاستطالة وتكون المصالح العامة في هذا تبعا وهذه السياسة التي يحمل عليها أهل الاجتماع التي لسائر الملوك في العالم من مسلم وغيره. إلا أن المسلمين يجرون منها ما تقتضيه الشريعة الإسلامية الاسلامية بحسب جهدهم فقوانينها إذا مجتمعة من أحكام شرعية وآداب خلقية وقوانين في الاجتماع طبيعية، وأشياء من مراعاة الشوكة والعصبية ضرورية..."[15]

وبالنظر إلى هاته الأمثلة للسنن الثابتة في الحضارة، يمكن تلخيص الدورة الحضارية على الشكل التالي:

أولا: يتحقق الاجتماع البشري لكون فطرته ميالة الى الاجتماع ولكونه يجد في ذلك منفعة التعاون والتكامل والأمان .. هذا الاجتماع الذي قد لا يكون مستقرا في رقعة جغرافية في بدايته إلا اذا وجد هذا التجمع في رقعته الجغرافية ما يكفيه من موارد وظروف جغرافية وطبيعية ملائمة.

ثانيا: يتحقق اجتماعه واستقراره في الرقعة الجغرافية الملائمة وتبدأ مرحلة البداوة التي تمهد للحضارة ... ذلك أن سعي الانسان في مرحلة البداوة هو ما يؤسس لتحضره لاحقا.

ثالثا: بعد سعي الانسان للانتقال من مرحلة البداوة الى الحضارة فإنه يحتاج بالضرورة إلى نظم وقوانين .. وهذا ما عبرت عنه بالسياسة التي تنظم شؤون هذا المجتمعات.

رابعا: ثم ان هاته المجتمعات تحتكم في صياغة سياستها وقوانينها التي تنظم شؤونها إما إلى قوانين وضعية يكون فيها المشرع هو الانسان .. أو تحتكم الى نظم ربانية، فإذا احتكمت المجتمعات الى قوانين ربانية كان اجتماعهم اقوى وانقيادهم اسهل كما ذكرت في عنصر الدين باعتباره الثابت الاهم في مختلف الحضارات السابقة.

القيم الحضارية

لاشك وان الحضارة الاسلامية كغيرها من الحضارات تأسست واستمدت قوتها من جملة من القيم، هاته القيم التي كانت اساس قوتها وسيادتها، فلما ضعف تمثلها لهاته القيم ضعفت الحضارة الاسلامية، والمتأمل في الحضارات السابقة يجد أنها في معظمها استندت على نفس القيم .. بل ان الحضارات بما فيها الحضارات المعاصرة الشرقية والغربية تزدهر وتتخلف بمقدار تمثلها لجملة من القيم.

وفيما يأتي سأذكر بعض القيم المشتركة بين كل الحضارات وأحاول رصد تأثير هاته القيم في حال حضورها وغيابها مع عقد مقارنة بين الحضارة الاسلامية وغيرها من الحضارات.

1- قمة العدل

جاء في لسان العرب: " العدل ما قام في النفوس أنه مستقيم وهو ضد الجور. وعدل الحاكم في الحكم يعدل عدلا وهو عادل. والعدل الحكم بالحق. والعدل من الناس المرضي قوله وحكمه"[16]

ويعرف الراغب الاصفهاني العدل بقوله: " العدل هو المساواة والمكافأة"[17]

" والعادل عند علماء اللهوت صفة للانسان الخاضع لأوامر الله ونواهيه وهو ضد الظالم الفاسق الجائر أو هو صفة الله تعالى لامتناع الجور عنه .. ومعنى ذلك أن القول بالعدل الالهي يوجب القول بالحرية الانسانية لأنه لا يعقل أن تكون المعاصي بتقدير الله، أ لا بمحبته ولا برضاه ولو كانت كذلك لما كان الله عادلا"[18]

إن العدل بكل المعاني التي يتسع لها يشكل أحد أهم القيم التي بنيت عليها كل الحضارات بما في ذلك الحضارة الإسلامية، بل إن تاريخ البشرية يؤكد لأن من أوثق السنن الكونية هلاك الظالمين وزوالهم. وهذا دون شكات يجعل العدل أهم القيم التي تؤسس عليها الحضارات وتضمن بقاءها واستمرارها، إذ ان الحضارات تبقى ما بقي العدل فيها فإذا غاب العدل فيها زالت وانتهى سلطانها.

والحضارة الإسلامية أسست منذ صدرها على إقامة العدل وتحريم الظلم، قال تعالى " إن الله يأمر بالعدل" – النحل.90- وقال أيضا في الدعوة لإقامة العدل: " يا أيها اللذين أمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى" –المائدة. 8- .

وقل جل جلاله في الحديث القدسي "قال الله: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته عليكم محرما فلا تظلموا العباد"[19]

إن الآيات الكريمة التي تحدثنا عن أهمية العدل وخطورة الظلم تحتاج إلى بحث مستقل لعرضها والوقوف على معانيها ودلالاتها، لكن يكفينا في هذا المقام أن نذكر أهمية العدل في بناء الحضارات وتسبب غيابه في انهيارها.

ومن السنن الإلهية الثابتة أن الله يبقي على الدولة العادلة حتى وإن كانت كافرة أما الأمم الظالمة فإن الله يهلكها بظلمها، " إن الدولة الكافرة قد تكون عادلة بمعنى أن حكامها لا يظلمون الناس والناس أنفسهم لا يتظالمون فيما بينهم، فهذه الدولة مع كفرها تبقى، إذ ليس من سنته تعالى إهلاك الدولة بكفرها فقط، ولكن إذا انضم الى كفرها ظلم حكامها للرعية وتظالم الناس فيما بينهم"[20]

وإذا تأملنا في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم سنجد عددا كبيرا من الأحاديث التي تبين لنا أن العدل يسهم في بقاء الحضارة وأن الظلم يعجل بزوالها، ومن الأمثلة على ذلك نذكر ما يلي،

- جاء في الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري ومسلم عن عائشة رضي الله عنها أن قريشا أهمها شأن المرأة المخزومية التي سرقت، فقالوا من يكلم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا من يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد حب رسول الله صلى الله عليه وسلم. فكلمه فيها فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: أتشفع في حد من حدود الله؟ فقال له أسامة: أستغفر الله. فلما كان العشي قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فاختطب فأثنى على الله بما هو أهل له ثم قال: أما بعد: فإنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها. ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها" 21

وفي هذا الموقف يحذر الرسول صلى الله عليه وسلم أمته من عاقبة الظلم، الظلم في أحد صيغه الأكثر شيوعا وذلك حين يطبق القانون على الضعفاء ولا يطبق على غيرهم من الأغنياء أو الشرفاء. وقد أكد أن هذا الظلم كان سببا في هلاك أمة سابقة، وقد يكون سببا في هلاك أمم لاحقة، ليؤكد عليه الصلاة والسلام على أن العدل ناموس وقانون ترتبط به نهضة الحضارات.

-يقول الله تعالى في معرض حديثه عن ارتباط الهلاك بالظلم: " فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا إن في ذلك لأية لقوم يعلمون" – النمل. 52-

إن العدل هو الأسس الأول الذي تبنى عليه الأمم قديما وحديثا فتزدهر وتتحضر بمقدار ما تحقق من العدل بين أفرادها وحكامها، لذلك ليس من الغريب أن نجد الدول المسلمة متخلفة وما ذلك إلا لشيوع الظلم بين حكامها وشعوبها في الوقت الذي تنعم فيه الدول الغربية بالرخاء المادي وما ذلك إلا لما حققته من عدل، ولو ن الدول الغربية أضافة الى العدل الإيمان لأتمت معنى الاستخلاف.

2- قيمة الاستخلاف.

يرد لفظ الخلافة في معجم لسان العرب النيابة والإمارة يقول ابن منظور في معجمه " واستخلف فلان من فلان: جعله مكانه. وخلف فلان فلانا إذا كان خليفته، قال تعال: " وقال موسى لأخيه هارون أخلفني في قومي". والخلافة: الإمارة"[22]

وبهذا المعنى يرد لفظ الاستخلاف في قوله تعالى "وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة " -سورة البقرة. الآية 30-. فالآية الكريمة تقرر مسؤولية الإنسان المتمثلة في خلافة الله في الأرض، أي النيابة عنه في إعمارها بأمر منه، والخلافة مقرونة بالمسؤولية المتبوعة بالمحاسبة، وهذا يظهر في استخلاف موسى لأخيه هارون، ومحاسبته له بعد أن وجد قومه قد انحرفوا عن المنهج الذي تركهم عليه موسى.

إن اعتبار الاستخلاف مقصدا لإيجاد البشرية، يفرض علينا إعطائه الأهمية التي يستحقها، فهو الأصل لكل ما سواه من التكليفات والمقاصد والحكم الأخرى، بل إن العبادة وإن كانت هي أيضا من أهم مقاصد خلق الإنس والجن لقوله تعالى " وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون " – سورة الذاريات. الآية 56- إلا أنها تبقى خادمة للمقصد الاول الذي هو الاستخلاف.

والاستخلاف كما عرفه الدكتور محمد عبد الفتاح الخطيب: " هو من القيم المحورية الناظمة لقيم البناء الحضاري الإسلامي، وهو المفهوم الإسلامي الذي يحدد العلاقة التي تربط الإنسان بخالقه من جهة، وتربط الإنسان بالأرض وعالم الأشياء من جهة ثانية، وبأخيه الإنسان من جهة ثالثة، فهو تصور كامل لحقيقة الوجود والكون والإنسان، فالمستخلف هو الإنسان وأخوه الإنسان، والمستخلف عليه هو الأرض وما عليها "والاستخلاف" بهذا المعنى مفهوم يؤطر حركة الإنسان(الخليفة) في الحياة"[23]

وهكذا يظهر أن الاستخلاف مفهوم كلي يشمل كل ما يضبط حركة الإنسان ويوجهها لتحقيق الخلافة وعمارة الأرض، سواء في بعده المادي الذي تفوق فيه الغرب او بعده الروحي الذي لا يزال الاسلام هو النموذج الوحيد السالم من التحريف وهو الحاكم لعلاقة الإنسان بربه بما يشمله ذلك من عبودية لله وأداء حقه كاملا من صلاة وزكاة وصيام ... والاستخلاف أيضا مؤطر لعلاقة الإنسان بباقي الموجودات، فهي مسخرة له لأداء وظيفته على الوجه الذي يرضي الله دون إسراف أو تبذير، بل إنه مدعو إلى معاملة الأشياء وفق قانون تفصيلي نجد الشرع حدده في تشريعات عديدة كالدعوة إلى إعمار الأرض بالتشجير وحفر الآبار والإصلاح في الأرض وإماطة الأذى عن الطريق وعدم الإفساد فيها.

وإذا كانت قيمة الاستخلاف حاكمة مؤطرة لكل ما ذكرنا فهذا يجعلها القيمة الحضارية الأولى التي ترجع إليها باقي القيم وتستند عليها.

وهكذا يظهر أن مفهوم الاستخلاف يدور حول محورين أساسيين كلاهما مرتبط بالإنسان، الأول هو كون الإنسان "الخليفة" حر ولا سيادة عليه إلا من الله تعالى، وثانيهما أن الإنسان مستأمن لأداء الواجب وعمارة الأرض وفق ما تقتضيه مشيئة الله سبحانه وتعالى وبما شرعه من شرائع وضوابط تحكم حركة الإنسان "والاستخلاف بهذا المعنى يؤطر حركة الإنسان (الخليفة) في الحياة وهو يعني أمرين: أولهما أن الإنسان الخليفة حر ولا سيادة لإنسان على أخر ابتداء، فلا مشروعية لكل ألوان التحكم أو أشكال الاستغلال وسيطرة الإنسان، فلا سيد ولا مالك ولا إله لهذا الكون إلا الله سبحانه وتعالى، والقيم جميعا مشدودة إليه بدءا وعودا .. وثانيها أن دور الإنسان في هذه الحركة إنما هو دور "الاستخلاف" والاستئمان" و "التفاعل" و"أداء" الواجب وفق منهج الله وأمره ونهيه"[24]

إن الإنسان وإن كان حرا في أداء مهمة الاستخلاف، إلا أن ذلك لا يخول له التصرف وفق ما يمليه عليه هواه وشهوته، بل هو مطالب بأن يجعل كل حركاته وسكناته تدور حول تحقيق العبودية لله تعالى، فيكون سعيه كله المادي والمعنوي محققا لعمارة الأرض وعبودية الله تعالى، فيصير بذلك فعله كله لله عز وجل بما في ذلك ارتقائه المادي في حياته الدنيا، وهذا الانسجام بين السعي الحضاري والتعبد لله مما تميزت به الحضارة الإسلامية عن غيرها.

وإذا اردنا أن ننظر الى واقع الحضارة الإنسانية وفق قيمة الاستخلاف سنلحظ ما يلي

أولا: أن المسلمين ضيعوا جوهر الدين مما فوت عليهم فرصة تحقيق الاستخلاف في جانبه الروحي والمادي وهذا يفسر تخلفهم في معظم مجالات الحياة.

ثانيا: أن المجتمع الغربي قد قطع أشواطا مهمة في تحقيق الخلافة في الجانب المادي .. وقطع نفس الشوط في الانتكاس عن الاستخلاف المعنوي مما انتج لنا حضارة مادية تنكر كل القيم الدينية والروحية وهذا ما دفع مالك بن نبي لوصف هذا المجتمع بأنه مجتمع "يعيش الخواء الروحي" رغم ما ينعم به من رقي مادي.

وهكذا فإن الانسانية لن تنعم بالسلام الا اذا استطاعت ان تتمثل قيمة الاستخلاف في جانبها المادي والمعنوي.

3- قيمة الحرية

تأتي الحرية في معاجم اللغة نقيض العبودية، يذكر ابن منظور في لسان العرب: "الحر، بالضم: نقيض العبد، والجمع أحرار. والحرة نقيض الأمة، وحرره: أعتقه وفي الحديث: من فعل كذا وكذا فله عدل محرر، أي أجر معتق"[25]

وإذا كانت الحرية في معناها العام تعني الخلاص من كل قيد والتصرف وفق ما تمليه الإرادة التي لا تخضع لأي ضغط أو إكراه فإن للحرية معان متنوعة حسب تنوع مجالاتها السياسية والاجتماعية والاقتصادية .. يقول الدكتور جمال صليبا في بيان معنى الحرية السياسي والاجتماعية: " والحرية بهذا المعنى قسمان: الحرية النسبية والحرية المطلقة. أما الحرية النسبية: فهي الخلوص من القسر والإكراه الاجتماعي، والحر هو الذي يأتمر بما يأمر به القانون ويمتنع عما نهى عنه .. أما الحرية المطلقة: فهي حق الفرد في الاستقلال عن الجماعة التي انخرط في سلكها"[26]

والحقيقة أن هذا التقسيم يمنحنا مزيدا من التفصيل لفهم المعنى الحقيقي للحرية، فهي حسب ما تعارفت عليه كل المجتمعات والديانات غير مطلقة دائما.

ولا يمكن أن يتحقق الاستخلاف الحقيقي للإنسان إلا بنيله حريته يقرر فعل ما يشاء وترك ما يشاء دون قيد أو إكراه وأيضا وفق ما حدده الشرع من قوانين وضوابط شرعية.

أما الحرية بالمعنى النفسي والخلقي فهي مناقضة للتصرف بالغريزة والهوى أو الجموح الخالي من المسؤولية، ومناقضة أيضا للحتمية التي تحرم الإنسان من الاختيار، فلا يكتمل معنى الحرية في حالة الخضوع لسلطان الهوى أو الاندفاع أو الإكراه وبذلك تكون الحرية في المعنى النفسي والخلقي قد "دلت على حالة شخص لا يقدم على فعل إلا بعد التفكير فيه سواء كان ذلك الفعل خيرا أم شرا .. كما دلت على حالة إنسان يحقق بفعله ذاته من جهة ماهي عاقلة وفاضلة .. ودلت على حرية الاختيار، وهي القول أن فعل الإنسان متولد من إرادته"[27]

والحرية بالمعنى الذي ذكرناه، يعتبر من الأمور التي نصت عليها الشريعة الإسلامية بمصدريها الأساس القرآن والسنة، فشكلت قيمة الحرية ملمحا حضاريا بارزا للمسلمين. وهي ايضا قيمة انسانية تعارفت البشرية على أهميتها وأنكرت على كل من يصادرها، هذا الانكار الذي تجلى في قولت الفاروق الخالدة "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا"

ومن أبرز الشواهد والأمثلة التي تظهر تميز الحضارة الإسلامية بقيمة الحرية نذكر ما يلي:

حرية المعتقد: إن الإسلام منذ بدايته تأسس على التوحيد الذي يعد أصل الأصول، دعي الناس إليه، لا يتجاوزه إلى غيره إلا إذا ثبت في قلوبهم، ورغم هذه الأهمية البالغة للتوحيد فإنه لم يكره عليه أحدا، ودائما ما كان يذكر بحرية اختياره عن إرادة و طواعية، ومن الشواهد على ذلك قوله تعالى " لا إكراه في الدين" –سورة البقرة 256– ، فأقرت الشريعة الإسلامية أن أهم شيء فيها التوحيد وأنه لا يكون صحيحا إلا إذا بني على إرادة صافية كاملة، فأكدت بذلك على أهمية الحرية في أصول الحضارة الإسلامية منذ نشأتها.

ومن الأمثلة البارزة على ذلك، موقف عمار ابن ياسر عليهم رضي الله عنه، فحين أكره وعذب لم يعاتبه الله تعالى على نطقه الكفر بلسانه، وأنزل آيات من القرآن تبرؤه فقال: "إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان" –سورة النحل. 106–

ولم يجعل الإسلام قيمة الحرية منحة للمسلمين فقط بل ضمن لغير المسلمين حرية معتقدهم، وكفل لهم تمام الحرية في هذا الباب، فقد أقر النبي صلى الله عليه وسلم وجود اليهود في المدينة وقبل جوارهم، بل وعتبرهم والمسلمين أمة واحدة، فالحرية في الحضارة الإسلامية ليست حكرا على المسلمين فيما بينهم، بل هي أصل تحكمهم حتى مع من خالفهم، ولنا في عمر ابن الخطاب رضي الله عنه، خير مثال حين فتح القدس وأعطى للنصارى الأمان "على حياتهم وكنائسهم وصلبانهم، لا يضر أحد منهم ولا يرغم بسبب دينه"[28]

حرية التفكير: وعمل على رعاية هذا الحق وتطويره من خلال الدعوة إلى إعماله في الكون والموجودات، ويظهر ذلك جليا في قوله تعالى: "أفلم يسيروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو أذان يسمعون بها، فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في صدور" –سورة الحج.64

ومن أوجه ضمان الإسلام لحرية التفكير إقراره الاجتهاد الذي هو إعمال الأدلة والنظر العقلي فيها للوصول إلى حكم شرعي، وهذا يوثقه ويشهد له إقرار النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ ابن جبل الذي أجاب على سؤال الرسول صلى الله عليه وسلم قال: "يا معاذ كيف تقضي إن عرض عليك قضاء، قال أنظر في كتاب الله: قال فإن لم تجد: أنظر في سنة رسول الله، قال فإن لم تجد ... الحمد لله الذي وفق رسول الله"[29]

وإذا كان الإسلام قد ضمن حرية التفكير فإنه أيضا كفل حرية الرأي، " وتعني حرية الرأي في الحضارة الإسلامية حق الفرد في اختيار الرأي الذي يراه في أمر من أمور العامة والخاصة، وإبداء هذا الرأي وإسماعه للأخرين، وهي حق الشخص في التعبير عن أفكاره ومشاعره باختياره وإرادته ما لم يكن في ذلك اعتداء على حق الأخرين"[30]

وصور حرية التعبير عن الري في حضارتنا أكثر من أن تعد، لكن يكفي في هذا المقام أن نذكر بعض الشواهد، ومنها: تشريع النصيحة التي ما هي إلى تعبير عن الرأي ودعوة إلى تصحيح خطأ أو فعل صواب، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: "والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر" –سورة التوبة.71-

ثم إن الإسلام أيضا ضمن:

حرية التملك: على خلاف ما دعت له الشيوعية، لكنه تملك خاضع لضوابط وقواعد حتى لا يتوحش ويصير مقدسا يستباح في سبيله كل شيء كما هو الحال في الرأسمالية، وهذا التملك لم يكن حكرا على الرجل فقط كما ساد في بعض الفلسفات والديانات في العصور الوسطى، وإنما جعل في حق التملك للرجل والمرأة سواء، قال تعالى: " للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن" –سورة النساء.23-

وحفاظا على هذه الملكية فقد حرم الإسلام السرقة والاغتصاب وجعل المالك وحده المسؤول عن أملاكه، فهو حر في طرق اكتسابها –طبعا بما أباح الشرع- وحر في طرق إنفاقها، فإن شاء صدق وإن شاء وهب وإن شاء أبقى ماله لورثته.

حرية النفس: لقد عاشت البشرية قبل مجيئ الرسول صلى الله عليه وسلم كل أشكال التميز والعنصرية بين أفراد المجتمع إما على أساس العرق أو الجنس أو اللون أو القبيلة أو غيرها، حتى جاء الإسلام وبدأ بالجزيرة العربية التي كانت بدورها غارقة في ألوان التميز والاستعباد، فجاء القرآن الكريم ليلغي كل معايير التفاضل ويجعلها معيارا واحدا هو التقوى، قال تعالى " إن أكرمكم عند الله أتقاكم" – سورة الحجرات. 13-

وبعد أن أصل الدين الإسلامي هذا الأساس فإنه عمل على عتق العبيد وسد منافذ الاسترقاق وحث المسلمين على تحرير عبيدهم، قال صلى الله عليه وسلم: " من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها عضوا من أعضائه من النار حتى فرجه بفرجه"[31]

وفي ظل رجوع مظاهر العبودية، تعود الحاجة ملحة إلى منهج متكامل لتحرير الإنسان من كل مظاهر الاسترقاق، وإنقاذ البشرية من البؤس الذي تعيشه بسبب ضياع هاته القيمة الحضارية السامية، وهذا الشيء لا يمكن أت يتحقق بمناهج بشرية وانما يحتاج الى نظام رباني وهو الشيء الذي لا يتوفر الى في الدين الاسلامي الذي سلم من التحريف.

4- قيمة المساواة

"المساواة: السين والواو والباء أصل يدل على استقامة واعتدال بين شيئين، يقال: هذا يساوي كذا، أي يعادله، وفلان وفلان على سوية من الأمر، أي سواء"[32]

من معاني المساواة في اللغة الاستقامة والاعتدال وهو الخلو من الانحراف والاعوجاج، وكذلك المكافأة والمعادلة، فالأشياء المتساوية هي المتكافئة والمعادلة وهذا من معاني المساواة التي ذكرها ابن فارس في معجمه، أما الراغب الأصفهاني فهو يشير إلى معنى اضافي للمساواة، وهو معنى التوسط والاعتدال الذي يخلو من الإفراط والتفريط، قال "مكان سوى، وسواء: وسط، والرجل السوي: أي استوت أخلاقه وخلقه عن الإفراط والتفريط"[33]

أما المساواة في الاصطلاح فهي متعددة المعاني حسب المجال التي تدرس فيه، فهي في علم الأخلاق تعني: "المبدأ المثالي الذي يقرر أن الإنسان مساو لأخيه الإنسان في الحق والكرامة"[34]

وهذا النوع من المساواة ينقسم بدوره إلى قسمين، الأول مساواة مدنية وهي: " المبدأ الذي يوجه جميع الأفراد لمعاملة واحدة، من حيث دعوتهم إلى القيام بالواجبات المفروضة عليهم ومن حيث تمتعهم بالحقوق المعترف لهم بها في القانون، دون تفريق بينهم حسب نسبهم أو ثروتهم أو طبقتهم"[35]

أما النوع الثاني فهو المساواة السياسية: "هو المبدأ الذي يعترف لجميع أفراد المجتمع بحق الاشتراك في الحكم وبحق التعيين في الوظائف العامة، وفقا للشروط التي يحددها القانون دون تميز بين طبقاتهم وثرواتهم، بحيث يكونون أمام القانون سواء"[36]

إن تأمل معاني المساواة سواء في معناه المدني أو السياسي يجعلنا ندرك تقاربهما مع مفهوم العدالة. بل يمكن القول بانه لا فرق بين العدالة والمساواة، إلا من حيث الأسبقية، فالمساواة هي الثمرة المرتقبة والمرجوة للعدل، يقول ابن مسكويه: "والعدالة في الأفعال مشتقة من معنى المساواة"[37]

والمساواة أحد القيم الحضارية المهمة التي ميزت الإسلام عن غيره من النظم الحديثة، فنجد النبي صلى الله عليه وسلم في كثير من أحاديثه والقرآن الكريم في كثير من آيه يدعوان إلى تمثل هذه القيمة لما لها من دور في تأسيس مجتمع قوي متجانس خال من العداوة، وكذلك لارتباطها الوثيق بتحقيق العدل الذي لا يقوم للدولة قائمة دونه.

ولذلك نجد من قال بأن المساواة هي القيمة الحضارية الكبرى لما لها من فوائد على المجتمع المسلم، " إن المساواة هي القيمة الحضارية الكبرى في الإسلام، تعود على المجتمع المسلم بفوائد عديدة منها: تحقيق الاستقرار والطمأنينة في المجتمع المسلم .. القضاء على الفتن الطائفية .. إشعار المرأة بقيمتها .. القضاء على الغرور عند من يظنون أنفسهم فوق الناس ..."[38]

والحقيقة أن قيمة المسواة من أبرز ما طبع الحضارة الإسلامية منذ صدر الإسلام وميزها عن باقي الحضارات والأمم.

وإذا نظرنا إلى الجزيرة العربية قبل الإسلام فإننا نجدها غارقة في مختلف أشكال التميز بين الرجل والمرأة، بين العبد والشريف، بين الأبيض والأسود، ليأتي الإسلام بالتشريعات التي تحارب كل أشكال وتجليات هذه التفاوتات وينبذها بأحكام وتشريعات تثبت المساواة منها إلغاء التفاوت بين الناس والقائم على الجنس أو العرق أو اللون، وبين المولود الأنثى وجرم قتل الأنثى التي كانت تحرم من حقها في الحياة فقط لكونها أنثى وليست ذكرا، قال الله تعالى: "وإذا الموؤودة سئلت بأي ذنب قتلت" –سورة التكوير. 8-

كما نقل لنا الحق سبحانه مثالا واضحا لهذا التميز الذميم الذي عمل على إزالته وقال: "وإذا بشر أحدهم بالأنثى ضل وجهه مسودا وهو كظيم يتورى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه في التراب" – سورة النحل. 58-

ومزال ينهى عن هذا النوع من التميز المقيت حتى جعل للأنثى فضلا عظيما، وساوى بينها وبين الرجل في العمل والثواب، قال تعالى " ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مومن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا" – سورة النساء. 124-

والأمثلة التي تصور قيمة المسواة في الحضارة الإسلامية أكبر من أن تعرض، ويكفي هاهنا أن نقول بأن الحضارة الإسلامية تميزت بقيم منحتها جاذبية جعلت الناس يدخلون في دين الله أفواجا منذ صدر الإسلام إلى يوم الناس هذا، بل يكفي القول بأن معظم الذين يدخلون الإسلام يدخلونه من بوابة قيمه المتسمة بالعدل والمساواة والرحمة.

5- قيمة الشورى

الشورى في اللغة من قولهم: "شار العسل يشوره شورا وشيارا وشيارة ومشارا ومشارة: استخرجه من الوقبة واجتناه"[39]

" وأشار عليه بأمر كذا: أمره به. وهي الشورى والمشورة، بضم الشين"[40]

ومعنى الشورى في الاصطلاح لا يبتعد كثيرا عن المعنى اللغوي: " فهي استنباط المرء لرأي غيره فيما يعرض له من الأمور المشكلات، ويكون ذلك في الجهة التي يتردد فيها بين فعلها وتركها"[41]

إن الشورى باعتبارها تداول الرأي بين جماعة من المسلمين لبلوغ الرأي السديد في قضية من القضايا تعد من أبرز القيم التي تأسست عليها حضارة المسلمين، لذلك نجد في القرآن الكريم سورة باسم الشورى، للدلالة على حضور هذا المبدأ العظيم في القرآن الكريم، وأيضا في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم.

وقد أمر الله نبيه الكريم بأن يستشير أصحابه وهو الذي يتنزل عليه الوحي من السماء، وما ذلك إلى ليربي أصحابه ومن خلالهم جميع أمته على أن الاستبداد بالرأي ليس من منهج المسلمين وإنما يحكمهم مبدء الشورى في تدبير مختلف قضاياهم. يقول الله تعالى: " فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك، فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر، فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين" -سورة آل عمران. 159-

" وبهذا النص الجازم: (وشاورهم في الأمر) .. يقرر الاسلام هذا المبدأ في نظام الحكم – حتى ومحمد رسول الله- صلى الله عليه وسلم- هو الذي يتولاه. وهو نص قاطع لا يدع للأمة المسلمة شكا في أن الشورى مبدأ اساسي، لا يقوم نظام الإسلام على أساس سواه .. أما شكل الشورى، والوسيلة التي تتحقق بها، فهذه أمور قابلة للتحوير والتطوير وفق أوضاع الأمة وملابسات حياتها. وكل شكل وكل وسيلة، تتم بها الشورى –لا مظهرها- فهي من الإسلام"[42]

والذي يتأمل الآية التي تضمنت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى مشاورة أصحابه يرى كذلك أنها تضمنت لفظي الرحمة والليونة، وكأن الله سبحان وتعالى في هذا المقام يقرن بين كل هاته الصفات ليكون تدبير المسلمين موافقا لشرع الله محققا للنصر والناج فالليونة والرحمة صفتين لازمتين للذي يشاور ويطلب رأي الأخرين ثم إن المشاورة وسيلة للاهتداء إلى الرأي الأصوب، ثم تأتي مرحلة التوكل على الله وبذلك تكتمل عناصر السداد والنجاح، وهو في ذات الآية يحذر من نقيض الرحمة واللين، إذ أن الغلظة والفضاضة مدعاة لنفور الناس وافتراقهم.

إن مبدأ الشورى من القيم التي امتدح الله بها عباد المؤمنين، الذين يستجيبون لأمره ويقيمون الصلاة ويتشاورون في أمرهم، قال تعالى " والذين استجابوا لربهم وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون" – سورة الشورى. 38-

ومن هنا كانت الجماعة المسلمة ملزمة بالشورى كما هي ملزمة بالصلاة والزكاة، إذ لا يصح أن نستجيب له سبحانه في أمر الصلاة والزكاة .. ونخالف أمره في شأن الشورى. وإذا كانت الصلاة والزكاة محصورة في عمومها بالمجال التعبدي فإن الشورى ينبغي أن تكون في أمر المسلمين.

" والتعبير يجعل أمرهم كله شورى، ليصبغ الحياة كلها بهذه الصبغة. وهو كما قلنا نص مكي . كان قبل قيام الدولة الإسلامية. فهذا الطابع إذن أعم وأشمل من الدولة في حياة المسلمين. إنه طابع الجماعة الإسلامية في كل حالاتها، ولو كانت الدولة بمعناها الخاص لم تقم فيها بعد"[43]

وهكذا يظهر أن الحضارة الإسلامية قامت على مبدأ الشورى منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أدرك الصحابة رضوان الله عليهم أهمية الشورى في تدبير شؤون الدولة فضربوا لنا أروع الأمثلة على ذلك.

ومن هذه الأمثلة المشرقة نذكر بيعة أبا بكر الصديق رضي الله عنه، فهو لم يتولى أمر المسلمين بطلب منه أو بوصية من الرسول صلى الله عليه وسلم، وإنما جاء بعد نقاش دار بين المسلمين. مجسدين بذلك مبدأ الشورى في أكبر تجلياته وهو اختيار الخليفة الذي يتولى أمرهم.

فقد عقد الأنصار اجتماعا في سقيفة بني سعد في اليوم الذي توفي فيه الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي السقيفة " دارت المناقشات وتبودلت وجهات النظر في الاجتماع بحرية وصراحة تامة، حتى دعت كاتبا مستشرقا هو الأستاذ (ماكدونالد) إلى أن يقرر: "أن اجتماع السقيفة يذكرنا إلى حد بعيد بمؤتمر سياسي دارت فيه المناقشات وفق الأساليب الحديثة"[44]

لا شك أن الأمة الإسلامية قد قدمت دروسا رائعة في مبدأ الشورى، وإنها قد بلغت أوجها حين كانت الشورى مبدأ في تدبير شؤنها، أما حينما ينقلب الأمر من تحكيم الشورى إلا القهر والاستبداد فإن ملمحا من ملامح الحضارة الإسلامية يغيب بغيابها

6- قيمة الجمال

يعرف أبن منظر الجمال ويقول " الجمال: مصدر الجميل، والفعل جمل. وقوله عز وجل - ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون- ، أي بهاء وحسن. ابن سيده: الجمال الحسن سكون في الفعل والخلق"[45]

أما الجمال عند الفلاسفة " فهو صفة تلحظ في الأشياء وتبعث في النفس سرورا ورضى. والجمال من الصفات ما يتعلق بالرضا واللطف، وهو أحد المفاهيم الثلاثة التي تنسب إليها أحكام القيمة، أعني الجمال والحق والخير.. والجمال مرادف للحسن وهو تناسب الأعضاء. وأكثر ما يقال في تعارف العامة في المستحسن بالبصر وكمال الحسن في الشعر والصباحة في الوجه والوضاءة في البشرة"[46]

ومن خلا ما ذكر من التعاريف يظهر أن الجمال كمصطلح تدور معانيه حول الحسن والبهاء وما يبعث على السرور وهو صوت الكمال في الشيء، وعليه فإن الجمال بهذا المعنى لا ينحصر في باب واح من أبواب الحياة، بل إنه يشمل كل شيء، فالحديث عن الجمال يرتبط بالإنسان والحيوان والطبيعة وكل المخلوقات والصفات الظاهرية المرتبطة بالأجسام والباطنية المرتبطة بالأرواح، ولسعة المفهوم فقد استقل بعلم خاص به سمي عند المختصين بعلم الجمال او (الجمالية).

يعرف الدكتور فريد الأنصاري علم الجمال بأنه " مصطلح يستعمل في الفكر المعاصر، للدلالة على تخصص من تخصصات العلوم الإنسانية، التي تعنى بدراسة (الجمال) من حيث هو (مفهوم) في الوجود ومن حيث هو (تجربة) فنية في الحياة الإنسانية .. وهو يبحث في معنى الجمال من حيث مفهومه، وماهيته، ومقايسه، ومقاصده. (والجمالية) في الشيء تعني أن الجمال فيه حقيقة جوهرية، وغاية مقصدية، فما وجد إلا ليكون جميلا. وعلى هذا المعنى انبنت سائر (الفنون الجميلة) بشتى أشكالها التعبيرية والتشكيلية"[47]

إن الجمال باعتباره علم قائم الذات قد ولد من رحم الفلسفة الغربية خلال القرن الثامن عشر الميلادي، لكن الجمال شيء ملازم للحضارة الإنسانية منذ نشأتها، وهو يأخذ مع كل حضارة شكلا تتميز به، فتولد عن ذلك تجليات كثيرة للجمال، "ولم تكن الحضارة الإسلامية بدعا من الحضارات الإنسانية جملة. ذلك أن الجمال في الإسلام أصل أصيل سواء من حيث هو قيمة دينية: عقدية وتشريعية، أو من حيث هو مفهوم كوني، وكذا من حيث هو تجربة وجدانية إنسانية. ومن هنا كان تفاعل الإنسان المسلم مع قيم

الجمال ممتدا من مجال العبادة إلى مجال العادة، ومن كتاب الله المسطور إلى كتاب الله المنظور، مما خلد روائع من الأدب والفن، التي أنتجها الوجدان الإسلامي في قراءته الراقية للكونين، وسياحته الرائعة في العالمين: عالم الغيب وعالم الشهادة"[48]

وفي ختام هذا الفصل يمكن القول بأن القيم الحضارية قيم كونية مرتبطة فيما بينها ارتباطا وثيقا بحيث تشكل منظومة لا تنفصل، وما تمييز القيم الحضارية عن القيم الاخلاقية او الاقتصادية أو الاجتماعية ... إلا لتسهيل الدرس وتوضيح اتساع مجالاتها وذكرها بما يغلب على وظيفتها. وإلا فإن التوحيد قيمة إيمانية لا يمكن أن نتحدث عن الحضارة الإسلامية دونها. فتكون بذلك قيم إيمانية وحضارية وأخلاقية في الوقت ذاته.

❖ **المحور الثالث: التربية على القيم وسؤال الوعي بالسنن الكونية كمدخل لبناء الحضارات.**

تؤكد معظم الوثائق التربوية الصادرة عن وزارة التربية الوطنية على محورية القيم في بناء المجتمعات وتنمية الحضارات، فهي –أي القيم– تشكل أحد أهم مرتكزات الحياة الإنسانية سواء في جوانبها الفردية أو الجماعية، ومن هذا المنطلق انخرطت المدرسة العمومية عموما ومادة التربية الإسلامية خصوصا في المشروع الكبير الذي أطلقته الوزارة الوصية على القطاع والذي يهدف أساسا إلى تنمية وتأهيل رأس المال البشري بما يستجيب لمتطلبات المجتمعات المعاصرة ويواكب التدافع الحضاري القائم.

وبالنظر إلى مقررات مادة التربية الإسلامية عموما، والثانوي تأهيلي خصوصا يظهر مقدار العناية بالتربية على القيم، فمعظم دروسها إن لم نقل كلها تأتي خادمة للمجالات الكبرى للقيم التي نص عليها الميثاق الوطني للتربية والتكوين، وهي قيم العقيدة الإسلامية، وقيم الهوية الحضارية ومبادئها الأخلاقية والثقافية، وقيم المواطنة، وقيم حقوق الإنسان ومبادئها الكونية. ورغم الإيجابيات المصاحبة لمجالات القيم المذكورة التي يمكن تسجيلها والتنويه بها إلا أن هذا لا يمنع من ذكر بعض الملاحظات والمقترحات التي من شأنها أن تسهم في الرقي بالعملية التربوية عموما والتربية على القيم بشكل خاص، وذلك لتنمية الوعي باعتبار هاته القيم تشكل سننا ربانية تتحكم في تطور وبناء المجتمعات.

– **أولا: التربية على القيم في الوثائق الرسمية.. قراءة تحليلية**

تعد التربية على القيم من أبرز الرهانات التي رفعتها الوزارة المكلفة بقطاع التربية والتعليم، وذلك وعيا منها بالدور المحوري للقيم في تكوين المجتمعات وتوجيهها لما يحقق رخاءها وازدهارها، لذلك نجد الحديث عن القيم حاضرا بشكل ملفت في كل الوثائق المؤطرة والموجهة للعملية التربوية في شموليتها، وعلى رأسها القانون الإطار والميثاق الوطني للتربية والتكوين والبحث العلمي، والرؤية الاستراتيجية لإصلاح التعليم 2015-2030.

أ- التربية على القيم في القانون الإطار 51-17.

يجعل القانون الإطار التربية على المواطنة والقيم الكونية رافعة للمدرسة التي من شأنها تحقق الإنصاف وتكافؤ الفرص، حيث يدعو إلى " اعتماد نموذج بيداغوجي موجه نحو الذكاء، يطور الحس النقدي وينمي الانفتاح والابتكار ويربي على المواطنة والقيم الكونية"49

وإذا كان الميثاق الوطني في دباجته يدعو إلى اعتماد نموذج بيداغوجي موجه نحو الذكاء ويعمل على تطوير الحس النقدي لدى المتعلم فإنه أيضا يجعل " التشجيع والتحفيز على قيم النبوغ والتميز والابتكار في مختلف مستويات منظومة التربية والتكوين والبحث العلمي ومكوناتها، من خلال تنمية القدرات الذاتية للمتعلمين، وصقل الحس النقدي لديهم، وتفعيل الذكاء، وإتاحة الفرص أمامهم

للإبداع والابتكار، وتمكينهم من الانخراط في مجتمع المعرفة والتواصل"50 من مبادئ التربية والتكوين والبحث العلمي وأهدافها ووظائفها.

والحقيقة أن هذه الرؤيا متقدمة لولا أنها تبقى محصورة فيما هو نظري، ذلك أن المبادئ والأهداف والوظائف تبدو مثيرة للإعجاب والاهتمام، هذا قبل الاطلاع على المعيقات التي تعرقل تفعيل وتنزيل مضامين هذه المشاريع المتقدمة، مع ما يمكن أن يسجل عليها من ملاحظات. ولعل من أبرز هذه المعيقات أذكر ما يلي:

أن النماذج البيداغوجية التي يفترض فيها أن توجه نحو الذكاء وتطوير الحس النقدي وتنمية الابتكار لدى المتعلم كما ينص على ذلك القانون الإطار، تظل عاجزة أمام إكراهات تشغل المدرس عن كل هاته الأهداف، ومن هذه الإكراهات، ارتفاع عدد المتعلمين في الحجرة الواحدة حيث يصل في كثير من الأحيان إلى الأربعين. أضف إلى ذلك ضعف التجهيزات وانعدام الادوات التقنية الحديثة والمعدات الضرورية، وهنا يبزغ السؤال الآتي: كيف سنشجع على الابتكار والانفتاح وننمي الحس النقدي والقدرة على التواصل وتمليك المتعلم القيم الحضارية ونحن نفتقر إلى حواسيب وعاكسات ضوئية وقاعات عرض مجهزة وغيرها من الضروريات.

ب- التربية على القيم في الميثاق الوطني للتربية والتكوين.

ينص الميثاق في أول مرتكزاته على أن مبادئ العقيدة الإسلامية وقيمها هي الموجه الأساس للعملية التربوية، " اهتدى نظام التربية والتكوين للمملكة المغربية بمبادئ العقيدة الإسلامية وقيمها الرامية لتكون المواطن المتصف بالاستقامة والصلاح، والمتسم بالاعتدال والتسامح، الشغوف بطلب العلم والمعرفة، في أرحب أفاقهما، والتوقد للاطلاع والإبداع، والمطبوع بروح المبادرة الإيجابية والإنتاج النافع"51

وهو يتمم بذلك ما جاء في المادة الخامسة من القانون الإطار التي أكدت على أن من بين وظائف منظومة التربية والتكوين والبحث العلمي "التنشئة الاجتماعية والتربية على قيم المواطنة والانفتاح والتواصل والسلوك المدني"52

أي أن من الغايات التي تعمل عليها المنظومة ككل فيما يرتبط بالتربية على القيم مسألة التنوع بين القيم الدينية الإسلامية المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية، وايضا القيم المجتمعية والوطنية والكونية، وهذا يعزز في نفس المتعلم التكامل بين القيم الموجهة لسلوكه في جوانبه الدينية والوطنية والاجتماعية والحضارية.

وهنا تستدعي الضرورة فتح قوس مهم من خلال هذا السؤال، إلى أي حد نجحت المدرسة عموما في خلق انسجام وتكامل بين القيم الدينية والقيم الحضارية؟

ومن خلال المثال البسيط الذي سأذكره يمكن رسم صورة مبسطة عن واقع الأمر، لا شك وأن جل المتعلمين عموما والمتمدرسين في السلك الثانوي تأهيلي خصوصا يتمتعون بقيم المواطنة والاعتزاز بالوطن وكل ما يعبر عنه، وجزأ من هاته الروح ظهرت في "مونديال كأس العالم بقطر" هذه الروح التي عبر المغاربة عنها بالخروج الى الشوارع والاحتفال بالتأهل التاريخي لربع ونصف كأس العال.

كل هاته المواقف وغيرها كثير يؤشر على ارتفاع منسوب قيم المواطنة في نفوس المتعلمين، لكن إذا نظرنا إلى نفس المتعلمين في بداية كل أسبوع وهم يؤدون تحية العلم نرى تكاسلا بارزا عن أداء النشيد الوطني، الذي كانوا سيصدعون به بأعلى أصواتهم بكل اعتزاز وفخر لو كانوا في ملاعب كرة القدم

فأي مواطنة هاته التي تحضر في ميادين اللعب وتغيب في ميادين العلم، والجواب على هذا السؤال يحتاج الى دراسة مستقلة لكن يمكن أن أقول بأن أهم الأسباب ترجع إلى:

أولا: إخفاق المدرسة في الربط بين القيم الدينية وقيم المعرفة وقيم المواطنة.

ثانيا: تفوق الإعلام في تبريز اللعب واللاعبين على العلم والعالمين، وهذا يفسر تلمس التلاميذ القدوة في ميادين الشهرة من لاعبين وفنانين.

ثالثا: تهميش دور المدرسة والمدرس وإضعاف تأثيرهما في المجتمع من خلال اضعاف أفاق المدرسة وإفقار المدرس في مقابل، تسويق أفاق اللعب وإثراء اللاعبين والمشهورين، وهذا أيضا يفسر ازدهار مواقع التواصل الاجتماعي " فاسبوك، أنستا غرام، تيك توك ..." بأبنائنا الغائبين عن مدارسنا حتى وإن حضرت أبدانهم.

وفي هذا السياق يقترح الميثاق الوطني بعض الحلول التي ضمنهما في الداعمة الثالثة عشرة والداعمة الرابعة عشرة " الدعامة 13: حفز الموارد البشرية، وإتقان تكوينها، وتحسين ظروف عملها، ومراجعة مقايس التوظيف والتقويم والترقية. الدعامة 14: تحسين الظروف المادية والاجتماعية للمتعلمين والعناية بالأشخاص ذوي الحاجات الخاصة"53

وخلاصة النظر في هاته الوثائق وغيرها:

1- الوثائق الرسمية في مجملها تعبر عن وعي بالغ بأهمية التربية على القيم في تكوين مجتمع متشبث بقيم الدين الإسلامي معتز بهويته الثقافية وخلفيته الحضارية.
2- هناك مسافة شاسعة بين الوثائق الموجهة للمنظومة ككل وبين أجرأت هذه التوجيهات على مستوى المؤسسات، مما يولد نوعا من التعارض البين بين الخطابات وبين الواقع.
3- المؤسسات تسجل غيابا في أداء وظائفها في التربية على القيم، بل إنها في كثير من الأحيان تنتج سلوكيات معارضة للقيم التي يفترض بالمدرسة تمليكها للمتعلم، وعلى سبيل المثال أذكر العنف المدرسي، والغش.
4- عدم امتلاك الجرأة الكافية، لاتخاذ قرارات والحرص على تنزيلها بالشكل الذي يضمن هيبة المدرسة ويساعدها في أداء وظيفتها القيمية، كسن قوانين زجرية قاسية للحد من ظواهر العنف والغش والصرامة في تطبيقها.

لا شك وأن كل الوثائق المؤطرة للعملية التربوية تركز على أهمية القيم في بناء الحضارة مع رهانها على العنصر البشري، وهذا يجعلها بقصد او بدون قصد تعبر عن مواكبة للسنن الكونية في بناء الحضارات، ذلك أن الحضارات تتأس أولا وقبل كل شيء على الأنسان المؤطر بقيم ومبادئ تحكم سلوكه وتوجهه للفعل الإيجابي.

وفيما يأتي ذكر لبعض الأمثلة –ثلاث قيم مركزية –التي تعبرها مادة التربية الإسلامية أساسية خصوصا في استثمار القيم من أجل البناء الحضاري والرقي المجتمعي.

أولا: التوحيد:

لقد أدرجت المقررات التعليمية لمادة التربية الإسلامية بسلك الثانوي التأهيلي جملة من الدروس التي تستهدف تثبيت قيمة التوحيد والقيم الإيمانية بجملة من الدروس، ومنها أساسا " التوحيد وأدلته، البعث والحساب، الجنة والنار، وعلم الله المطلق. في الجذع المشترك أما في مستوى الأولى باكالوريا فقررت لترسيخ هاته القيم كلا من الإيمان والغيب، والايمان والعلم، الإيمان والفلسفة. والإيمان وعمارة

الأرض. اما في الثانية باكالوريا فتقرر من الدروس ما يلي التوحيد والحرية، الإلحاد بين الوهم والحقيقة، النظر والتفكر سبيل العلم والإيمان، القرآن الكريم منهج حياة

وإذا نظرنا إلى الدروس المقررة في هذا الباب وبغض النظر عن الملاحظات التي يمكن تسجيلها عن مضامين الكتب المدرسية، فقد تضمنت ما يكفي من الدروس لتحقيق هاته الأهداف، إن لم نقل أن هناك مبالغة في عدد الدروس وتقاربا شديدا في مضامينها، مع تسجيل أن معظم التلاميذ بحكم انتسابهم لأسر متدينة تجد قيم التوحيد والإيمان مزروعة فيهم منذ نعومة أظفارهم، لذلك فإن الحاجة تقتضي مراجعة بسيطة لطرق عرض وتقديم هذه الدروس، فبدل أن يقدم درس التوحيد كمادة علمية معزولة عن سياقاتها المعاصرة، يمكن عرض وثائقي يتحدث عن تجارب علماء ومفكرين وكيف انتقلوا من الإلحاد إلى التوحيد وما هي الأدلة التي قادتهم الى دائرة الإيمان، أو بعرض فلم يتحدث عن تعدد الآلهة ثم إخضاعه للمناقشة والمدارسة من قبل المتعلمين. فهكذا يمكن ربط المتعلم بالتوحيد وفي نفس الوقت يمنحه ذلك مزيدا من الانفتاح على الأخرين ويعزز في نفسه الانتساب لهذا الدين، وهي مقاصد كبرى تهدف المادة لتحقيقها.

ثانيا: التزكية

"إن الإسلام استخدم مصطلح "التزكية" الجامع بمعنى تنمية خصائص الإنسان ووسائله المادية، لما في هذا المصطلح من بعد أخلاقي وإنساني ونفسي وديني، إن صح التعبير، ذلك أن التنمية ليست عملية مادية تتم ضمن الارتقاء بوسائل الإنسان وأشيائه، بعيدا عن تطوير قدراته والارتقاء بخصائصه وصفاته وإنسانيته وأخلاقه"54

ولتحقيق التزكية في شموليتها عند المتعلم نجد جملة من الدروس وعلى رأسها السور القرآنية المقررة –الكهف، يوسف، يس– وأيضا تلك الدروس التي ذكرناها في التوحيد، فكل هاته الدروس وغيرها من مدخل الاقتداء تتعاون لتنمي في المتعلم قيم الصبر والإخلاص والثبات والعفة الحياء ... وتحاول أن تقرن بين كل ذلك وبين البناء الحضاري فتزكية النفس تمنح الإنسان فاعلية في واقعه وتنعكس عملا يترجم إلى فعل حضاري رشيد.

وإن هذه القيم المحققة لمقصد التزكية من أهم القيم التي تنسجم وحاجة المتعلم في السن الذي هو فيه مما يكسبها أهمية بالغة، فهي التي تقوم سلوكه وتعالج معظم الانحرافات التي تشيع في مثل هذا السن كالغش والعنف والتبرج والتحرش وغيرها، وهذا الأمر يفرض تطويرا في مناهج ووسائل تزكية المتعلمين وتمليكهم لهاته القيم، وفي هذا السياق أسجل ما يلي:

أن القيم عموما والتزكية خصوصا، لا يمكن تمليكها للمتعلمين بدروس نظرية فقط، وإنما تحتاج إلى دروس تطبيقية، فبدل أن يكون الدرس نظريا لتمليك المتعلم قيمة التضامن مثلا، يستحسن إشراكه في عمل تضامني من خلال النوادي أو الجمعيات، وتنظيم حملة تضامن كالتي شاهدناها مع متضرري زلزال الحوز، هكذا يمكن للمتعلم أن يتذوق لذة هاته القيمة فيتملكها بشكل تام.

أن القيم تصل إلى النفوس بشكل أفضل حين تقدم في قالب قصصي أو مشاهد حية، وقد قمت بتجربة في تمليك المتعلمين قيمة المبادرة والاحسان بشريط فيديو بدل درس نظري عادي، فوجدت أن أثر الفلم القصير كان أبلغ ووجد استحسانا في نفوس المتعلمين.

ثالثا: قيمة العمران

إن مقصد العمران باعتباره يشمل كل القيم التي توجه الإنسان الى بناء الحضارات. وتحقيق قيم التعارف والتعايش بين الشعوب وقيم العدل والمساواة والحرية والشورى في المجتمعات، قد خصص له حيز لا بأس به في مقررات الثانوي تأهيلي خصوصا مقررات الأولى والثانية باكالوريا التي تضمنت دروسا مثل " الكفاءة والاستحقاق، والأمانة والمسؤولية، والعفو والتسامح، التوسط والاعتدال في استغلال البيئة، الإسلام وبناء الحضارة الإسلامية التفاوض والتشاور ..." وهذه الدروس تشكل أرضية خصبة للأستاذ ليناقش كل القيم التي من شأنها الإسهام في النهوض الحضاري.

ومع أن المدرسة العمومية بكل مكوناتها بذلت وتبذل جهدا محمودا في تمليك المتعلم قيم الحضارة الراشدة إلا أنها لا تزال بعيدة كل البعد عن استثمار العلم بالسنن الكونية في التربية على القيم وفي مشاريعها عموما، ولعل هذا راجع إلى اسباب منها جدة هذا العلم وعدم انفتاح الذين يصوغون المقررات والمذكرات وعلى مداخله المهمة في بناء الحضارات وتطوير المجتمعات.

الخاتمة

تبين من خلال ما تقدم أن الله تعالى خلق هذا الكون وجعله يمضي وفق قوانين محكمة لا تتخلف، ومن رحمته بالناس أن الوعي بهذه السنن الكونية يتيح له استثمارها في تطورها، كما أنه يتجنب أسباب الهلاك بعدم خرقها.

ومن بين أهم المجالات التي أثبت التاريخ خضوعها للسنن الكونية في باب القيم مجال الحضارة والعمران، فتأكد من خلال الدرس التاريخي والواقعي وأيضا الديني أن الحضارات كل الحضارات تزدهر بقيم العدل والحرية والشورى وتتخلف حين تنقلب هذه القيم ظلما وعبودية واستبدادا.

ثم إن المجتمعات التي تعمل على تقوية فاعلية المدرسة تربية النشأ على قيم العلم والعمل والعادلة والحرية تضمن ديمومة تحضرها واستمرارها في الرقي، وهنا ينبغي التأكيد على مراجعة أدوار مدرستنا في وظيفتها القيمية خصوصا في هذا المجال المرتبط بالسنن الحضارية وعلاقتها بالقيم.

الهوامش:

1 ابن منظور. لسان العرب. دار النشر بيروت. الطبعة: الثالثة – 1414 هـ. الجزء 13. ص225.

2 شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون. أبو العباس، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط. دار القلم، دمشق. ج 3. ص 399.

3 مؤسسة الرسالة بيروت. السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية. الطبعة الأولى 1413هـ/1993م. ص 13.

4 عمر عبيد حسنة. مراجعات في الفكر والدعوة والحركة. المكتب الإسلامي. الطبعة الثالثة 1419هـ/ 1998م. ص 21. بتصرف

5 يوسف القرضاوي. العقل والعلم في القرآن الكريم. مكتبة وهبة. الطبعة الأولى 1416هـ/ 1997م. ص 279. بتصرف.

6 ابن منظور. لسان العرب. ج 4. ص 197. مرجع سابق.

7 عبد الرحمن ابن خلدون. العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر. ضبط خليل شحادة. مراجعة سهيل زكار. دار الفكر، بيروت. الطبعة: الأولى، 1401 هـ/ 1981 م. ج 1. ص 216.

8 جميل صليبا. المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية. الجزء الأول. دار الكتاب اللبناني. بيروت لبنان. ص 476.

9 يوسف القرضاوي. السنة مصدر للمعرفة والحضارة. دار الشروق. الطبعة الثالثة. 1423هـ/2002م. ص 201.

10 ابن منظور. لسان العرب. المجلد12. ص500 500.

11 محمد عبد الفتاح الخطيب. قيم الإسلام الحضارية نحو إنسانية جديدة. كتاب الأمة. العدد 139. ص 20.

12 عبد الرحمان محمد ابن خلدون. مقدمة ابن خلدون. اعتنى به سامي دياب. فضاء الفن والثقافة. ص 169.

13 عبد الرحمان محمد ابن خلدون. مقدمة ابن خلدون. ص 96.

14 المرجع نفسه. ص 136.

15 مقدمة ابن خلدون. ص332.

16 ابن منظور. لسان العرب. المجلد الثالث عشر. دار المعارف. تحقيقك عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي لسان العرب.. ص 156.

17 أأبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني. المفردات في غريب القرآن تحقيق صفوان عدنان الداودي. دار القلم. الدار الشامية. دمشق بيروت الطبعة الأولى. ص 320.

18 جميل صليبا. المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية. دار الكتاب اللبناني. مكتبة بيروت. ج 2. ص 43. بتصرف.

19 معمر بن راشد الأزدي. الجامع مطبوع آخر مصنف عبد الرزاق. حبيب الرحمن الأعظمي. المجلس العلمي– الهند، توزيع المكتب الإسلامي – بيروت الثانية، 1403 هـ – 1983 الجزء 11. ص 182

20 عبد الكريم زيدان. السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد في الشريعة الإسلامية. ص 122.

21 ! أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي. صحيح البخاري. تحقيق: مصطفى ديب البغا. (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق. الطبعة: الخامسة، 1414 هـ - 1993 م. ص 1282.

22 ابن منظور. لسان العرب. ص1235.

23 محمد عبد الفتاح الخطيب. القيم الحضارية في الإسلام. كتاب الأمة. ص35.

24 القيم الحضارية في الإسلام. ص35.36

25 ابن منظور. لسان العرب. ص829.

26 نفسه ص 462.463.

27 نفسه. ص 365.364.363. بتصرف.

28 أبي جعفر محمد ابن جرير الطبري. تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك. تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. الطبعة الثانية. دار المعارف بمصر. ج 3. ص 500.

29 سنن أبي داوود. كتاب الأقضية باب اجتهاد الرأي في القضاء. رقم الحديث 3592. الجزء5. تحقيق تشعيب الأرنؤوط. الطبعة الأولى، 1430هـ/ 2009م. دار الرسالة العالمية. ص 4444

30 راغب السرجاني. الأخلاق والقيم في الحضارة الإسلامية. ص31.

31 محمد ابن اسماعيل البخاري. صحيح البخاري. كتاب كفارات الأيمان باب قوله تعالى في "أو تحرير رقبة" المائدة.98. وأي الرقاب أزكى. ص 7336.

32 أحمد ابن فارس ابن زكرياء. معجم مقاييس اللغة. تحقيق عبد السلام هارون. دار الجيل بيروت. ج3. ص112.113.

33 الراغب الأصفهاني. المفردات في غريب القرآن. ص 439.440.441.

34 المعجم الفلسفي. جمال صليبا. ص367.

35 المرجع نفسه. ص367.368.

36 المرجع نفسه. ص368.

37 أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق. حققه: ابن الخطيب. دار مكتبة الثقافة الدينية. الطبعة: الأولى. ص108

38 نافع بن محمد النافع. ص37

39 ابن منظور. لسان العرب. المجلد الرابع. ص 2356.

40 المرجع نفسه. ص 2368.

41 محمد الخطيب. دستور الحكم الإسلامي. رسالة دكتوراه، مخطوطة 1980. ص 287. نقلا عن : برهان زريق. الشورى في الاسلام. الطبعة الأولى 2016. ص 12.

42 سيد قطب. في ظلال القرآن. دار الشروق ب-بيروت- القاهرة. الطبعة السابعة عشر. ص501.

43 سيد قطب. في ظلال القرآن. ص 3160.

44 سعد عبد السلام حبيب. الشورى في الإسلام. كتب إسلامية يصدرها المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية القاهرة. ص46.

45 ابن منظور. لسان العرب. ص 685.

46 جمال صليبا. المعجم الفلسفي. ص 407.

47 فريد الأنصاري. جمالية الدين معارج القلب إلى حياة الروح. دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة. ص12.

48 فريد الأنصاري. جمالية الدين معارج القلب إلى حياة الروح. ص 12. 13.

49 قانون – إطار رقم 17-51 يتعلق بمنظومة التربية والتكوين والحث العلمي. ص 3.

50 المرجع نفسه. ص5.

51 الميثاق الوطني للتربية والتكوين. ص 7.

52 قانون – إطار رقم 17-51 يتعلق بمنظومة التربية والتكوين والحث العلمي. ص 7.

53 الميثاق الوطني للتربية والتكوين. ص 42.45. بتصرف.

54 عبيدة حسن عمر. من التنمية إلى التزكية رؤية في الإصلاح. ص61.